

النيوكولونيالية الفرنسية في إفريقيا: نشر الثقافة الفرنسية French Neocolonialism in Africa: Spreading French Culture



الدكتورة/ عبير شليغم^{2,1}

¹ جامعة الجزائر 3، (الجزائر)

² المؤلف المراسل: abirabir99@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/01/06 تاريخ القبول للنشر: 2022/03/27 تاريخ النشر: 2022/04/28



ملخص المقال: اللغة العربية: د. / محمد قشي (جامعة الجزائر 2) اللغة الإنجليزية: د. / محمد غدير إبراهيم (جامعة الوادي)

ملخص:

تهدف الدراسة تسليط الضوء على نشر الثقافة الفرنسية في إفريقيا، من خلال التطرق لنشأة وتطور الفرانكفونية إذ تعتمد فرنسا على وسائل الإعلام والاتصال، حيث هناك قنوات تلفزيونية ساهمت في نشر الثقافة الفرنسية بشكل كبير أهمها قناة فرانس 24 وFRANCE 24 وقناة Tv5 monde، مروراً لإبراز مختلف الآليات لنشر اللغة الفرنسية عبر المؤسسات التعليمية من مدارس وثانويات وحتى جامعات بالإضافة إلى المراكز الثقافية وكذلك المنح الفرنسية المقدمة للطلاب الأفارقة، سعياً منها لتكوين مثقفين موالين لفرنسا يتم استغلالهم إذا ما وصلوا سلم القيادة في دولهم ومن ثم يعملون على تكريس التبعية الفرنسية وبالتالي مصالح فرنسا.

علاوة على ذلك؛ اعتمدت فرنسا على القمم الفرانكفونية والتي تضم رؤساء الدول وحكومات الأعضاء، تجتمع كل سنتين في باريس أو في إحدى العواصم الأفريقية وتعتبر القضايا المطروحة انعكاساً لواقع العلاقات بين فرنسا والدول الأفريقية، حيث تهتم بالقضايا السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية والفنية.

الكلمات المفتاحية: إفريقيا؛ فرنسا؛ الثقافة؛ القوة الناعمة؛ الفرانكفونية، اللغة.

Abstract:

The study aims to shed light on the spreading of French culture in Africa, by addressing the origin and development of the Francophone movement, as France relies on media and communication, as there are television channels that have contributed greatly to the expansion of French culture, the most important of which are France 24 and TV5 Monde, passing through to highlight the various mechanisms for the spreading of French through educational institutions as primary and high schools to universities in addition to cultural centers as well as French scholarships offered to African students, in an effort to form intellectuals loyal to France who are exploited if they reach the ladder of leadership in their countries and then work to perpetuate French dependence and thus the interests of France.

Furthermore, France relied on the Francophone summits, which include heads of state and governments` members. They meet every two years in Paris or in one of the African capitals. The issues raised are a reflection of the reality of relations between France and African countries, which are concerned with political, economic and even cultural and artistic issues

Key words: Africa; France; Culture; Soft power; Francophone; Language.

مقدّمة:

تكمن أهمية المتغير الثقافي في العلاقات الدولية كون الثقافة أحد أدوات تنفيذ السياسة الخارجية والتعبئة السياسية للشركاء، التي أصبح الفكر الاستراتيجي يعتبرها من أهم مقومات القوة الناعمة "soft power" أو "la puissance douce"، (Massart, 2007, p 89) في ظل النّظام الدولي الجديد، كما ورد في كتابات العديد من المختصين ومنهم "جوزيف ناي" و"صامويل هنتنغتون"، هذا الأخير قدّم نموذجاً لتفسير العلاقات الدولية لما بعد الحرب الباردة، تُمثّل فيه الثقافة الإطار الكلي المحدّد لها.

تتوفر فرنسا بحكم تاريخها على مؤسسات ثقافية مهمة ومعترف بها دولياً، مثل "متحف اللوفر" و"جامعة السوربون" و"معهد باستور" ومعاهد كبرى كثيرة، كما أنها تتمتع بحيوية كبيرة في الإبداع المعاصروهي البلد الأول من حيث جذب السواح الدّوليين باعتبار "باريس" المدينة الأكثر إرتياداً في العالم؛ إضافة إلى اللغة الفرنسية التي تعد لغة رسمية في الأمم المتحدة وفي أزيد من 29 دولة، ولغة عمل في الاتحاد الأوروبي.

بناء على ذلك؛ تُولي فرنسا اهتماماً بالغاً بنشر الثقافة الفرنسية والقيم الحضارية لها، وتعتمد في علاقاتها الثقافية بالدول الأفريقية على عدة آليات أهمها الفرانكفونية، اللغة المشتركة، المؤسسات التعليمية الفرنسية والمراكز الثقافية الفرنسية في إفريقيا، بالإضافة إلى القمم الفرانكوفونية التي تنعقد كل عامين في باريس أو في إحدى العواصم الأفريقية.

إشكالية الدراسة: بناء على ما تم تقديمه تصاغ الإشكالية التالية:

كيف أثر نشر الثقافة الفرنسية في إفريقيا على بقاء واستمرار الكولونيالية الفرنسية؟

أما فيما يخص بالتساؤلات الفرعية نستعرضها فيما يلي:

-كيف نشأت وتطورت الفرانكفونية؟

-ماهي الآليات التي اعتمدها فرنسا لنشر لغتها في قارة إفريقيا؟

-ماهي القضايا المطروحة في القمم الفرانكفونية؟

فرضيات الدراسة: من أجل الإحاطة بمختلف جوانب الدراسة تمّ صياغة الفرضيات التالية

كإجابات أولية للإشكالية والتساؤلات الفرعية المطروحة، وهي:

- الفرانكفونية منظمة دولية تضم دولاً ذات لغة واحدة وثقافة واحدة فرنسية على خلاف

تأسيس المنظمات الدولية والإقليمية لأسباب التقارب الجغرافي أو الاقتصادي أو العسكري والأمني أو حتى السياسي.

- كلما زاد عدد المؤسسات التعليمية الفرنسية ومراكز الأبحاث وحتى المنح الدراسية في قارة إفريقيا انتشرت اللغة الفرنسية وبالتالي مصالحتها في القارة.
- تهتم قضايا القمم الفرنكفونية بالقضايا السياسية والاقتصادية والثقافية والفنية وتعزيز برامج التعاون.
أهداف الدراسة: من خلال دراستنا لهذا الموضوع نسعى لتحقيق مجموعة من الأهداف نوجزها كالآتي:

- تسعى الدراسة لتسليط الضوء الفرنكفونية من خلال إبراز مفهومها وحتى نشأتها وتطورها.
- إبراز الآليات والوسائل التي انتهجتها فرنسا لنشر لغتها في القارة الإفريقية التي تنوعت بين المؤسسات التعليمية الفرنسية وكذا المراكز الثقافية الفرنسية وأيضا المنح الدراسية للطلاب الأفارقة.
-إستعراض القمم الفرنكفونية سواء التي كانت تقام في فرنسا أو حتى التي تقام في إحدى الدول الإفريقية مع التركيز على القضايا التي تعنى بها هذه القمم.
منهج الدراسة: سعياً منا للإجابة على الإشكالية المطروحة والتحقق من صحة الفرضية المشار لهما سابقاً، وعليه سندستعين بعدة مناهج منها: المنهج التاريخي، الوصفي، الإحصائي.
تعتمد دراستنا على وصف وتحليل مختلف الأحداث بالاعتماد على المنهج الوصفي، مع الاستعانة بمناهج أخرى منها: استخدام المنهج التاريخي سعياً منا للتعرض لتطور مفهوم الفرنكفونية منذ بدايتها إلى غاية الوقت الراهن، فضلاً عن المنهج الإحصائي من خلال عرض عدد المؤسسات التعليمية الفرنسية في إفريقيا وأيضا عدد المراكز وحتى عدد المنح الدراسية للطلاب.
ومن ثم؛ قسّمنا الدراسة إلى ثلاثة مباحث وهي كالتالي:

المبحث الأول:

الفرانكفونية

من خلال المبحث الأول سنقوم بإبراز مفهوم الفرنكفونية مروراً لتوضيح نشأتها وتطورها وبالتالي سنقوم بتقسيم المبحث إلى مطلبين على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الفرنكفونية

أول من وضع مفهومًا للفرانكفونية هو الجغرافي الفرنسي "أونسيم ريكلوس" Onesime Reclus (1837-1916) سنة 1880 ووصفها في كتابه بأنها (فكرة لغوية وعلاقة جغرافية) وقد استخدم المصطلح لوصف مجموعة تستعمل الفرنسية بأشكال مختلفة من الأشخاص والبلدان. (جميل، 2000، ص 264)
كما يعرفها القاموس الفرنسي la Rouse بأنها: "التّجمع الذي يضم الشعوب الناطقة باللغة الفرنسية". (La Rouse, 1989, p 437) أما الموسوعة الفرنسية الشاملة Universalis فنوجز تعريفها بأنها: "مجموعة تقوم على شعور الانتماء إلى جماعة تتقاسم لغة هي الفرنسية مع ما تحمل من ثقافة وحضارة".

في حين يرى "محمد السيد أحمد": "أنها مجموعة بلدان يعتبر سكانها أن اللغة الفرنسية هي لغتهم العادية وفي بعض الأحيان هي لغتهم الرسمية. فيمكن النظر إليها وفقا لاعتبارين: أحدهما، كونها فكرة قديمة والأخرى باعتبارها منظمة دولية حديثة النشأة والتكوين، وتكاد تكون المنظمة الوحيدة بين المنظمات الدولية والإقليمية التي تأسست في النصف الثاني من العقد الماضي، وكان مسوّغ تأسيسها لغة واحدة وثقافة واحدة، هما اللغة والثقافة الفرنسية في حين كانت مبررات تأسيس المنظمات الدولية والإقليمية هو التقارب الجغرافي نتيجة لضرورات (حاجات) سياسية، اقتصادية، عسكرية وأمنية. (مصطفى كامل، 2001، ص 11)

المطلب الثاني: نشأة وتطور الفرانكفونية

تحوّلت الفرانكفونية التي ظهرت لأول مرة كمفهوم لغوي لتأخذ أبعادا ثقافية حضارية جسّدها الخطب الرسمية التي قدّمها الجنرال ديغول في برازافيل -عاصمة الكونغو- عام 1944، وبعد ذلك خطابات الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" (1903-1987)، والرئيس السنغالي "ليوبولد سيدار سنغور" Léopold Sédar Senghor (1908-2001) والرئيس الإيفواري "فيلكس أوفوي بواني" (Felix Houphouët Boigny والرئيس النيجيري "حماني ديوري" Hamani Diori وهم من أكثر الزعماء الأفارقة تحمّسا للفكر الفرانكفوني. وكان الدافع الرئيسي لهؤلاء القادة الأفارقة إدماج الشئون السياسية والاقتصادية مع تلك الثقافية في العلاقات الثنائية. (الزبيدي، 2006، ص 11)

إلا أنّ الفكرة تبلورت أكثر خاصة مع تصاعد موجات التحرر وحصول معظم الدول الإفريقية على استقلالها. وفي سنة 1965 طرح الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" إبان زيارته للسنغال مشروعا حمل اسم الكومنولث الفرنسي *Commonwealth a la francaise*، وكان جوهر هذه الدعوة هو إقامة تنظيم جديد للدول الإفريقية المتحدثة باللغة الفرنسية. وقد وجدت هذه الفكرة ترحيبا من قبل الرئيس السنغالي "سنجور" (حسين عبد الرحمن، 2004، ص 162)، طرحها في اجتماع OCAM لتتطور بعد ذلك، إلى أول تجمع فرانكفوني في مؤتمر نيامي عاصمة النيجر برعاية فرنسا وكندا عام 1969. وقد أسفرت هذه الجهود عن نشأة وكالة التعاون الثقافي والتقني *Agence de Coopération Culturelle et Technique* والمعروفة اختصارا بـ ACCT في 20 مارس 1970، عندما اجتمع 22 بلدا لتكوين نواة لتأسيس الفرانكفونية بمفهومها الجديد إذ أعلنت رسميا في ذلك العام إبان حكم الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو. (الزبيدي، السياسة الفرانكفونية والوطن العربي، 2010، ص 66)، واعتبر تاريخ تأسيسها الموافق لـ 20 مارس بمثابة اليوم العالمي للفرانكفونية، وانعقدت أول قمة فرانكفونية بدعوة من الرئيس "فرانسوا ميتران" في 17-19 فيفري 1986 بفرساي-فرنسا. (أبو العينين وفليفل، 2002، ص 54) ومنذ ذلك الوقت أصبحت القمم تنظم كل سنتين وقد شكل ذلك انطلاقة حقيقية للفرانكفونية كأداة لإدارة المصالح الفرنسية في إفريقيا والعالم. (Véronique, 1999, p 37)

ضمّت الوكالة في عضويتها 22 دولة في بداية تأسيسها، إلى أن زاد عدد الدول المنطوية فيها ليصل 30 دولة سنة 2002، (Pondi, 2002, p 128) ووصل عددها أيضا إلى 63 دولة سنة 2005، ويقدر عددها

حاليا 88 بلداً وحكومة منهم: 54 عضو مشارك، 27 مراقب و 7 أعضاء منتسبين عبر أنحاء العالم وتمثل القارات الخمس (الفرانكفونية حيز للتعاون متعدد الأطراف، 2021).

تجدر الإشارة أنه قد سبق تأسيس هذه الوكالة إنشاء عدد من المؤسسات ذات الطابع غير الحكومي مثل الاتحاد الدولي للصحافة والصحفيين الناطقين باللغة الفرنسية 1950، ومؤتمر وزراء البرلمانيين الناطقين بالفرنسية 1967، ومؤتمر وزراء الشباب والرياضة للدول الفرانكفونية 1969. وأصبحت هذه الوكالة في سنة 1991 المحرك الأساسي للفرانكفونية- لتتحول في سنة 1997 إلى الوكالة الدولية للفرانكفونية. حيث تم إنشاء المجلس الدائم للفرانكفونية المكوّن من ممثلي رؤساء الدول والحكومات. ومنذ بداية التسعينات بدأت اهتمامات الفرانكفونية في التحول، فبعد ما كانت مجالات التعاون محصورة في الجانب الثقافي والفني وبرامج التدريب والتعليم توسّعت حتى للجانب السياسي والدبلوماسي لتشمل مجال الديمقراطية وحقوق الإنسان فأصبحت تناقش مختلف القضايا السياسية الدولية والإفريقية إذ ترسل بعثات لمراقبة الانتخابات في القارة الإفريقية. (مصعب محمود، 2006، ص264)

بيد أنّ أهم تطور شهدته الفرانكفونية تمثل في تحول وكالة التعاون الثقافي والتقني إلى الوكالة الدولية للفرانكفونية Agence de la francophonie وذلك خلال القمة السابعة في هانوي Hanoi -عاصمة الفيتنام- سنة 1997 وتبنى ميثاق الفرانكفونية واتجهت الجهود إلى مأسسة هذا التنظيم من خلال مختلف الأجهزة التي تم استخدامها، أما في 23 نوفمبر 2005 بمدغشقر تم تبني الميثاق الجديد الذي جعل وكالة الفرانكفونية توسم بالمنظمة الدولية للفرانكفونية International Organization of Francophonie تُعرف بإختصار "الفرانكوفونية" (IOF) مقرها بباريس.

أصبحت وكالة الفرانكفونية على غرار باقي الرابطات الثقافية تشكل فاعلا معتبرا في العلاقات الدولية تسيّرهما مجموعة مؤسسات منها: (الكتاني، 2000، ص 53)

1- القمة الفرانكفونية:

وتضم رؤساء الدول وحكومات الأعضاء، تجتمع كل سنتين في باريس أو في إحدى العواصم الأفريقية، وتهتم بالقضايا السياسية والاقتصادية والثقافية والفنية وتعزيز برامج التعاون.

2- المؤتمر الوزاري للفرانكفونية:

يسهر على سير المنهج السياسي الذي تقره القمة، ويضم وزراء خارجية الدول الأعضاء.

3- المجلس الدائم للفرانكفونية:

هيئة سياسية دائمة تتابع تنفيذ مقررات القمة.

4- الأمانة العامة:

وينتخب الأمين العام رؤساء الدول والحكومات، وهو رئيس المجلس التنفيذي والناطق الرسمي باسم الوكالة.

5- المكاتب الجهوية للوكالة:

تشمل ثلاثة مكاتب إقليمية: (غرب إفريقيا، أفريقيا الوسطى، المحيط الهندي والمحيط الهادئ)، تقع هذه المكاتب على التوالي في لومي بالتوغو، ليبرفيل بالغالون وفي هانوي بالفيتنام، وتولى ممثليتان فرعيتان في بوخارست برومانيا وبورت أو برنس بيهاتي، الربط بين الأنشطة الميدانية.

6- مكاتب الاتصال:

مكتب نيويورك للاتصال مع الأمم المتحدة، مكتب جنيف للاتصال مع المنظمة الدولية، مكتب بروكسل للاتصال مع الاتحاد الأوروبي، ومكتب أديس أبابا لدى الاتحاد الإفريقي وجميع المكاتب السابقة المذكورة تحت إشراف الأمين العام.

6- المرسلون:

وهم معنيون من قبل حكوماتهم تحت إمرة وزارة الخارجية.

تعد وسائل الإعلام والاتصال العصب الرئيس لتحقيق أهداف الفرنكوفونية وإيصال أفكارها إلى أرجاء العالم كافة. وفي ذلك يقول المفكر الفرنسي جاك أتالي: "إن عالمنا اليوم قد أصبح يُسيطر عليه الإعلام وليس الطاقة إذ إن السيطرة على المعلومات، لا على المواد الأولية هي التي ستحدد كل شيء حتى الحرب والسلام" وبالتالي؛ هناك قنوات تلفزيونية ساهمت في نشر الثقافة الفرنسية بشكل كبير نذكر أهمها ما يلي:

-قناة فرانس 24 FRANCE: تم تدشينها في ديسمبر 2006، وهي القناة الفرنسية الأولى للأخبار الدولية، تزيد هذا الفضاء قيمة مضافة، تبث بعدة لغات: الفرنسية والإنجليزية والعربية والإسبانية ويأمل أن توسع إلى الألمانية والإسبانية لاحقا، موزعة على أوروبا والشرق الأدنى والأوسط وإفريقيا وعلى مدينتي نيويورك والعاصمة واشنطن، وهي تسعى للعالمية. (rechebloine, 2007, p 29)

-قناة Tv5 monde: تأسست سنة 1985 وهي قناة تلفزيونية تبث باللغة الفرنسية، تحتل المرتبة الثانية في سلم قنوات التلفزيون الدولية الأكثر تألقا، إذ يبلغ عدد مشاهديها باللغة الفرنسية ما يقارب 210 مليون في جميع أرجاء العالم، بالإضافة إلى ذلك فإن عدد زوار الموقع الإلكتروني لهذه القناة على شبكة الإنترنت يبلغ 8,6 مليون زائر خلال الشهر الواحد، ونتيجة لبدء البث في المحيط الهادي بالإضافة إلى ترجمة الأفلام، فقد زاد معدل نمو الجمهور بنسبة 2,5% للعام 2009، وذلك بفضل بدء بثها في منطقة المحيط الهادئ وبفضل وجود حواشي الترجمة السينمائية أيضا. (لان، 2016، ص 168)

في مقابل ذلك؛ تتعرض الفرنكوفونية إلى منافسة قوية على المستوى الثقافي من الكومنولث البريطاني الذي يعدّ المقابل الأنجلوفوني لها، فيضمّ الأخير مليار فرد يتحدثون الإنجليزية بنسبة 30% من سكان العالم، بينما لا تضم الفرنكوفونية سوى 500 مليون فرد.

المبحث الثاني:

نشر اللغة الفرنسية

تشكّل سياسات اللغة الفرنسية إحدى أساسيات المبادرات الثقافية الفرنسية الخارجية، إذ يسير التطور في التبادلات الثقافية والعلمية يدًا بيد مع تعزيز اللّغة الفرنسية، ما يعدّ عنصرًا أساسيًا من عناصر سياسة التأثير في جميع أنحاء العالم، في إطار سياسة فرنسا اللغوية لنشر لغتها الفرنسية عبر مختلف المستعمرات الإفريقية السابقة إذ عملت على إنشاء مؤسسات تعليمية من مدارس وثانويات وحتى جامعات بالإضافة إلى المراكز الثقافية والمدارس والجامعات، لما لها من دور في توثيق الروابط الثقافية والحضارية بين فرنسا ودول إفريقيا، أين أصبحت اللّغة الرّسمية في بعض الدول الأكثر استعمالاً فلم تسمح لهم حتى بتعلم لغتهم المحلية، وحتى أماكن التعليم والتدريس الخاصة بلغاتهم المحلية لا توجد، بل عملت على تعليم ونشر اللغة الفرنسية فقط دون منازع، وذلك بهدف تكوين مثقفين موالين لفرنسا يتم إستغلالهم إذا ما وصلوا سلّم القيادة في دولهم يسعون في تكريس التبعية الفرنسية ومن ثم ضمان مصالح فرنسا، كما تعد إفريقيا جنوب الصحراء الأكثر عدداً من جهة الناطقين بالفرنسية، إذ يتكلم الفرنسية حوالي 31% من عدد السكان، ويبلغ عدد المتحدثين بها 96.2 مليون شخص.

بناءً على ما سبق؛ يضم هذا المبحث ثلاثة مطالب نوجزها فيما يلي:

المطلب الأول: المؤسسات التعليمية الفرنسية

تجسّد تطور جهود فرنسا في دعم دور الثقافة في حركتها الخارجية بفتح ثلاثة ثانويات في داكار -عاصمة السنغال- سنة 1940 وفي باماكو -عاصمة مالي- وفي أبيجان -ساحل العاج- سنة 1952. ساهم إنشاء المدارس في دعم سياسة البعثات التبشيرية وفي تمتين سياسة الاستيعاب الثقافي التي انتهجتها فرنسا لفرض التنصير واللّغة الفرنسية في حياة المستعمرات الإفريقية عبر التكوينيّين -مدني وعسكري- اللذان مهّدا الطريق لتغذية القابلية الجماعية للاستعمار عبر إفراز عناصر فرنسية متشعبة بالثقافة والقيم الفرنسية تساهم في تكريس التبعية الفرنسية، ولم تقتصر استراتيجية فرنسا التعليمية على المدارس الابتدائية والثانوية فحسب بل امتدت تداعياتها إلى الجامعات الإفريقية، من الجامعات التي كان لها دور في تأسيسها لذلك الغرض (زايدي، 2014، ص 304): مدرسة الطب في داكار سنة 1918، جامعة داكار سنة 1957، وفي 1969 في التوغو، وفي 1970 في الغابون، وفي 1971 جامعة برازافيل، وفي 1973 جامعة النيجر، وفي 1974 بوركينا فاسو.

المطلب الثاني: المراكز الثقافية الفرنسية

تضطلع المراكز الثقافية الفرنسية "FCC" French Cultural Centers بأربعة أدوار أو وظائف أساسية يقع على رأسها مهمة تعليم اللغة الفرنسية وهي المهمة الأكثر شيوعاً للمراكز الثقافية. ثانياً؛ وظائف المراكز الثقافية في دعم البرامج الثقافية في الدول المضيفة مثل العروض الثقافية والفنية والسينمائية، أما ثالثاً؛ فتتمثل في الدور الذي تلعبه هذه المراكز في تزويد الباحثين بكافة الوثائق

والمعلومات عن فرنسا. وأخيرا رابعا؛ التعاون في مجال التعليم، إذ تلعب هذه المراكز دورا في إتاحة الفرص أمام الطلاب الأجانب لاستكمال دراساتهم في فرنسا. (M Yves, 2001, p 243)

وفي المقابل؛ يقع 35 مركزا في الدول الأفريقية غير العربية، وتوزع بين 4 مراكز في جمهورية الكونغو الديمقراطية، و3 في الكاميرون وإثنان في كل من (بوركينافاسو، الكونغو برازافيل، غينيا الاستوائية، مدغشقر، النيجر والسنغال) وأخيرا مركز واحد في كل من (بنين، جزر القمر، أفريقيا الوسطى، ساحل العاج، جيوتي، اثيوبيا، نيجيريا، رواندا، توغو، الجابون، غينيا بيساو، كينيا، مالي، موريتانيا، الصومال).

كما وجب الإشارة؛ أن هذه المراكز لا تعتمد على عرض الثقافة الفرنسية فقط، بل تحرص أيضا على رصد الثقافات المحلية وإبرازها في شكل مطبوعات أو أفلام تسجيلية أو معارض فنية أو أثرية، كما تقوم بترجمة بعض الأعمال الدينية المختارة من اللغات المحلية إلى اللغة الفرنسية، فتنقلها بذلك من المحلية إلى العالمية، وقد تنسق هذه المراكز الثقافة مع المؤسسات التعليمية لكتابة بعض اللغات المحلية واسعة الانتشار تعمق هذه الأساليب الارتباط بين الشعوب الإفريقية والثقافة الفرنسية. (السياسة الثقافية الخارجية الفرنسية، 2021)

وجب الإشارة؛ أن الصين هي الأخرى وضعت مخطط لنشر اللغة والثقافة الصينية عبر أنحاء العالم في السنوات الأخيرة وذلك بفتح عدد كبير من معاهد الكونفوشيوسية لتعليم اللغة الصينية في العالم، ففي عام 2005 قامت الصين بفتح معهد كونفوشيوس في كينيا، وهو أول معهد صيني في إفريقيا، ممول من الحكومة الصينية، كما عقدت الصين في العام نفسه إتفاقية مع مصر لتأسيس الجامعة الصينية-المصرية في القاهرة بوصفها أول جامعة صينية في أفريقيا حتى وصل عدد الطلاب الأجانب الذين يدرسون اللغة الصينية إلى نحو 200 مليون طالب. (محمدي، 2017، ص 6).

المطلب الثالث: المنح الدراسية للطلاب الأفارقة

تعدّ فرنسا من بين البلدان الأكثر استقطابا للطلاب الأجانب، حيث أشار تقرير أنشطة وزارة الخارجية الفرنسية لعام 2001 إلى جذب الطلاب الأجانب لاسيما النخب الأجنبية إلى فرنسا لتلقي التعليم العالي وإجراء البحوث يقع ضمن أولويات سياسة التعاون الفرنسي، وتعتبر فرنسا هي الدولة الثالثة على مستوى العالم من حيث استقبالها للدارسين الأجانب بعد كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وذلك بعد أن كانت تحتل المركز الرابع عام 1998. إلا أنها تراجعت لتحتل حاليا المرتبة الرابعة في قائمة البلدان المستضيفة للطلاب الأجانب بعد أمريكا، بريطانيا، أستراليا، ففي عام 2018 أختار 325 ألف طالب أجنبي القدوم إلى فرنسا، وهذا العدد في تزايد مستمر. (الدراسة في فرنسا، 2021)

يعتبر تقديم فرص تعليمية للأجانب في فرنسا، أحد المحاور المهمة للسياسة الخارجية الفرنسية في بعدها الثقافي لاسيما في القارة الأفريقية، إذ كان تلقي التعليم في فرنسا عاملا مساعدا للدارسين الأفارقة لتوليم المناصب العليا في الدولة في الفترة التالية على الاستقلال، ومن ثم ساهم في توطيد علاقات وثيقة بين هؤلاء الخريجين ومن ثم دولهم وفرنسا. للعلم فإن الطلاب الأفارقة يشكّلون نحو نصف الطلاب

الأجانب الدارسين في فرنسا. وفي المقابل يشكل الطلاب الآسيويون والأمريكيون نحو 14% و8% على الترتيب.

في مقابل ذلك؛ تشهد اللغة الفرنسية تراجعاً كبيراً في قارة إفريقيا يرجع ذلك لواقع التعليم في الدول الأفريقية فطالما كانت اللغة الفرنسية وانتشارها متوقفاً على مستوى التعليم في هذه الدول، إرتفاع نسب الأمية وإنخفاض أعداد الأطفال الذين يلتحقون بالتعليم الأساسي إذ أثبتت الدراسات أن العديد من طلاب المدارس في الدول الأفريقية يتكون الدراسة لعدم قدرتهم على متابعة الدروس باللغة الفرنسية، وهو ما ولّد قناعات لدى خبراء التعليم الأفارقة بأنه من الأفضل التحول إلى التعليم ثنائي اللغة، على الأقل في المستويات الأولى من التعليم هذا من جهة. (Turpin, 2001, p 43) دون أن ننسى الإختراق الأمريكي لأفريقيا الفرانكفونية، فلم يعد التعاون الأمريكي مقتصرًا على الدول الأفريقية الأنجلوفونية، وهو ما عزّز من دور المؤسسات التمويلية الأمريكية في منطقة النفوذ الفرنسي في المنطقة وهذا من جهة أخرى. (Middell, 2003, p 209)

المبحث الثالث:

القمة الفرانكفونية

تعتبر مؤتمرات القمة الفرنسية الأفريقية والتي تنعقد كل عامين وتجمع بين رؤساء الدول الأفريقية وفرنسا- الموضحة في الجدول رقم (01) واحدة من أهم الأدوات والآليات التي تدير فرنسا من خلالها سياستها الخارجية تجاه أفريقيا لمناقشة ودراسة وإصدار القرارات المتعلقة بعمل الفرانكفونية، حيث تم تدشين هذه المؤتمرات في عام 1973 أي في عهد الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو، فكانت الفرصة الوحيدة للحوار والعمل الجماعي بين فرنسا من جهة والدول الأفريقية من جهة أخرى للتشاور حول المسائل والقضايا ذات الاهتمام المشترك. أما الميزانية المالية السنوية للمنظمة فتتحمل فرنسا نسبة مقدارها 80% سنويًا منها وقد بلغت عام 2001 مثلاً حوالي 150 مليون يورو (الزبيدي، السياسة الفرانكفونية والوطن العربي، 2010، ص 66).

طوال هذه السنوات طرأ على هذه الآلية العديد من التطورات سواء فيما يتعلق بنطاق الحضور الأفريقي فيها أو فيما يتعلق بالقضايا المطروحة، فمثلاً يعتبر مؤتمر القمة الفرنسي-الأفريقي التاسع عشر والذي عقد في واجادوجو-بوركينافاسو عام 1996 هو بداية التحول الحقيقي في نطاق الدول المشاركة في المؤتمر إذ حضرت أكثر من أربعين دولة مثلت كافة أشكال الميراث الاستعماري في القارة الأفريقية الأمر الذي اعتبر مؤشراً على توسيع نطاق المؤتمر الفرنسي الأفريقي خارج نطاق مؤسسية الفرانكفونيين. ولعلّ اللآفت للتّظّر في هذه القمة هي المشاركة الأولى لقوة إقليمية أنجلوفونية هي نيجيريا، ورد الفعل الفرنسي الإيجابي لهذه المشاركة النيجيرية التي تتسق مع الإستراتيجية الفرنسية القائمة على تقوية العلاقات مع القوى الإقليمية الأنجلوفونية الواقعة خارج نطاق نفوذها التقليدي وهي تحديداً نيجيريا، جنوب إفريقيا، كينيا.

الجدول رقم (01): يوضّح القمم الفرانكوفونية ومكان انعقادها

رقم القمة	مكان القمة	السنة
1	فارساي- باريس	1986
2	كيبك - كندا	1987
3	داكار - السنغال	1989
4	باريس - فرنسا	1991
5	(port- luis) موريس	1993
6	كونوتو - البنين	1995
7	هانوي - فيتنام	1997
8	مونكتون - كندا	1999
9	بيروت - لبنان	2002
10	واغادوغو - بوركينافاسو	2004
11	بوخارست - رومانيا	2006
12	مدينة كيبك - كندا	2008
13	مونترال - سويسرا	2010
14	كينشاسا - الكونغو الديمقراطية	2012
15	داكار - السنغال	2014
16	أنتاناناريفو - مدغشقر	2016
17	بريفان - أرمينيا	2018

المصدر: من إعداد الباحث، اعتماد على المراجع التالية:

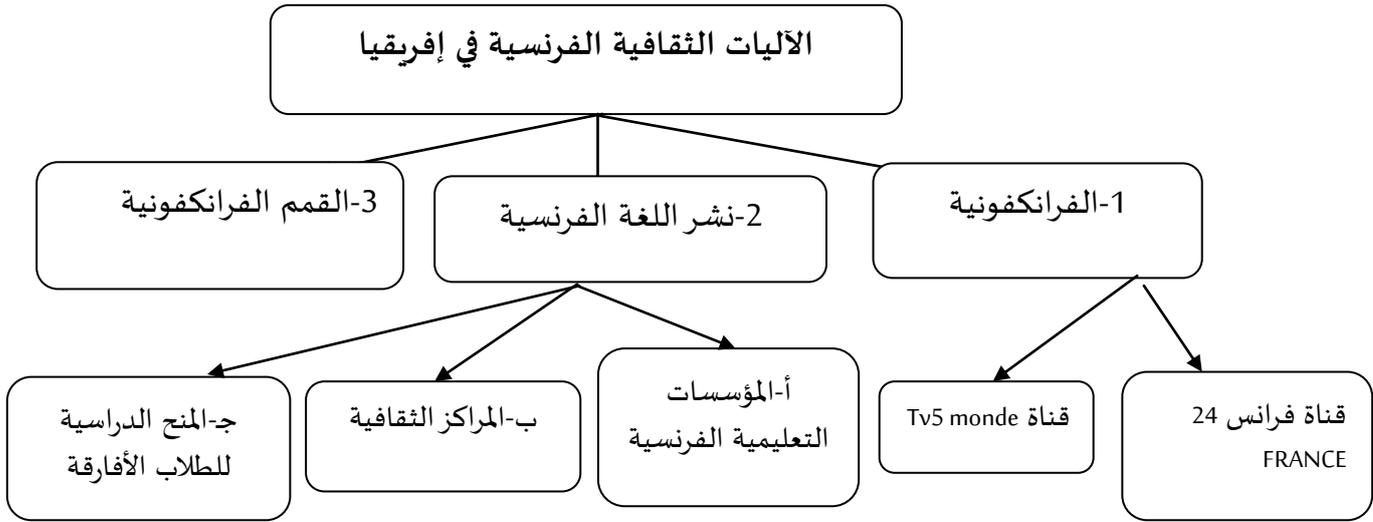
-Guillaume le quintrec, **la France dans le monde depuis 1945**, (Paris: éditions du seuil, janvier 1998), p 54.

-الفرانكوفونية حيز للتعاون متعدد الأطراف، وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية، تاريخ دخول الموقع: (2020-07-22)، من

الرابط: <http://www.diplomatie.gouv.fr>

فيما يتعلق بقضايا القمم الفرنسية الأفريقية، فقد كانت القضايا المطروحة -دائما- انعكاسا لواقع العلاقات بين فرنسا والدول الأفريقية، كما كانت مرآة للقضايا المثارة على الساحة الأفريقية، فقد ظلت القضايا الاقتصادية هي المهيمنة على معظم القمم الفرنسية الأفريقية منذ بداياتها، لاسيما في القمتين الأولى والثانية، اللتين ناقشتا القضايا الاقتصادية من قبيل أسعار المواد الأولية التي تعتمد عليها اقتصاديات الدول الأفريقية، ومستقبل التعاون الاقتصادي الفرنسي-الأفريقي، وكذا مستقبل المساعدات الإنمائية الرسمية التي تقدمها فرنسا لأفريقيا، وعلى الرغم من أن القمتين الأولى والثانية قد تجنبنا إثارة المسائل العسكرية والأمنية.

الشكل رقم 01: ملخص الآليات الثقافية الفرنسية في إفريقيا



المصدر: من إعداد الباحث

الخاتمة:

من خلال ما تم اسعراضه؛ توصلنا لمجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:
تولي فرنسا إهتماماً بالغاً بنشر الثقافة الفرنسية والقيم الحضارية لها الفرنسية بهدف بسط نفوذها وتكريس الهيمنة الفرنسية في إفريقيا، حيث تعتمد في علاقاتها الثقافية بالدول الأفريقية على عدة آليات أهمها الفرانكفونية، نشر اللغة الفرنسية عبر المؤسسات التعليمية الفرنسية والمراكز الثقافية الفرنسية في إفريقيا وكذلك المنح الدراسية المخصصة للطلاب الأفارقة، بالإضافة إلى القمم الفرانكفونية التي تنعقد كل عامين في باريس أو في إحدى العواصم الأفريقية.
بيد أن هذا النفوذ الفرنسي بدأ بالتراجع مقابل بروز قوى جديدة منافسة للتواجد التقليدي الفرنسي في إفريقيا خاصة أمريكا التي عملت على نشر اللغة الانجليزية مقابل اللغة الفرنسية ليس فقط في الدول الأنجلوفونية بل حتى في الدول الفرانكوفونية، هذا إلى جانب الصين هي الأخرى برزت بقوة في إفريقيا خاصة من خلال تقديم الدعم والمساعدات المادية للدول الإفريقية بدون قروض على عكس الدول الغربية التي تقدم ذلك وفق ما يُعرف بالمشروطة.

الإحالات والمراجع:

1. La Rousse. (1989). Paris: Petits Documentaire.
2. M Yves, D. (2001). Les Centres culturels française a l'étranger. Assemblée Nationale.
3. Massart, p. (2007). la Francophonie, un nouvel intervenant sur la scène internationale. revue internationale de politique comparée, 14, p. 89.

4. Middell, M. (2003). *Francophonie as a World Region. European Review of History*, 10, p. 209.
5. Pondi, J.-E. (2002). *La coopération Franco-africaine vue d'Afrique. Revue Internationale et Stratégique*, p. 128.
6. rechebloine, F. (2007). *l'audiovisuel extérieure: quels choix pour demain? commission des affaires étrangère*.
7. Turpin, M. O. (2001). *La politique éducative extérieure de la france. Assemblée Nationale*.
8. Véronique, L. M. (1999). *La Francophonie. France: Milan*.
9. إدريس الكتاني. (2000). ثمانون عاما من الحرب الفرانكفونية ضد الإسلام واللغة العربية (الإصدار ط 1). الرباط: منشورات نادي الفكر الإسلامي.
10. الدراسة في فرنسا. (23، 12، 2021). تم الاسترداد من وزارة أوروبا والشؤون الخارجية: <http://www.diplomatie.gouv.fr>
11. السياسة الثقافية الخارجية الفرنسية. (25، 12، 2021). تم الاسترداد من الموقع الرسمي لوزارة الخارجية الفرنسية: <http://www.diplomatie.gouv.fr>
12. الفرانكفونية حيز للتعاون متعدد الأطراف. (23، 12، 2021). تم الاسترداد من وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية: <http://www.diplomatie.gouv.fr>
13. تيمور مصطفى كامل. (أكتوبر، 2001). الفرانكفونية والعالم العربي: مسيرة تعاون مشترك. مجلة السياسة الدولية، صفحة 11.
14. جميل مصعب محمود. (2006). تطورات السياسة الأمريكية إتجاه إفريقيا وانعكاساتها الدولية (الإصدار ط 1). الأردن: دار مجدلاوي.
15. رانيا حسين عبد الرحمن. (2004). السياسة الفرنسية تجاه أفريقيا بعد الحرب الباردة. رسالة ماجستير في قسم السياسية والاقتصاد (صفحة 162). جامعة القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية.
16. سالم جميل. (ماي، 2000). الفرانكفونية والفرنسية. مجلة المستقبل العربي، صفحة 32.
17. سليمة زايدي. (2014). سياسة فرنسا تجاه دول إفريقيا جنوب الصحراء ما بعد الحرب الباردة. رسالة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية (صفحة 304). جامعة الجزائر 3: كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية.
18. صليحة محمدي. (جويلية، 2017). السياسة الصينية تجاه إفريقيا: توظيف القوة الناعمة لاستمالة القارة الإفريقية. المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، صفحة 6.
19. فيليب لان. (2016). دبلوماسية القوة الناعمة لفرنسا بين العلم والثقافة (الإصدار ط 1). الأردن: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
20. محمود أبو العينين، والسيد فليفل. (2002). التقرير الاستراتيجي الإفريقي. مصر: معهد البحوث والدراسات الإفريقي.
21. وليد الزيدي. (2006). الفرانكفونية في المنطقة العربية: الواقع والآفاق المستقبلية. أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.
22. وليد الزيدي. (2010). السياسة الفرانكفونية والوطن العربي (الإصدار ط 1). الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.